جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة – الجزائر
ISSN: 1112-4377, EISSN: 2588-2384
المجلد: 29 العدد: 4 السنة: 2025
مجلة المعيار
EL MIEYAR

المثقّف المتخاذل وإشكالية الهوية الفلسطينية في رواية الصدمة لياسمينة خضرا

The Defeatist Intellectual and the Problem of Palestinian Identity in Yasmina khadra's Novel 'the Attack'

ماط مهدي [1]
mehdimatskikda@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2025/01/30 تاريخ النشر: 2025/09/15
Received: 30/01/2025 published: 15/09/2025

ملخص المقال :

تصبو هذه المداخلة لكشف ملامح شخصية المثقف المتخاذل في رواية الصدمة لصاحبها ياسمينة خضرا، وذلك بغية إظهار ملامح العربي المندمج مع الأخر المحتل، المغتصب للأرض، وذلك بالاتكاء على إشكالية تمحورت حول ماهية المثقف المتخاذل في رواية الصدمة؟ وكيف تجلت أشكال الهوية فيها؟، ويهدف هذا البحث إلى الكشف عن عمق الهوة في الواقع الفلسطيني، وينقسم هذا البحث إلى دراسة المثقف المتخاذل وأشكال الهوية في الرواية، والوصول في نهايته إلى تعرية آثار وطأة الاحتلال، والدعاية الصهيونية.

كلمات مفتاحية: مثقف، مقاومة فلسطينية، احتلال، الهوية.

Abstract:

This study aims to uncover the features of the hesitant intellectual character in The Attack, a novel by Yasmina Khadra, with the purpose of highlighting the traits of the Arab individual assimilated with the occupier, the usurper of the land. The research revolves around the central question: What defines the hesitant intellectual in The Attack, and how are the forms of identity reflected in the novel? This study seeks to expose the profound gap within the Palestinian reality. It is divided into an analysis of the hesitant intellectual and the manifestations of identity in the novel, ultimately aiming to reveal the impact of occupation and Zionist propaganda.

Keywords: Intellectual; Palestinian resistance; Occupation; Identity.

(1) جامعة 20 أوت 1955 –سكيكدة–

مقدّمة:

تكمن أهمية الرواية في قدرتها على معالجة أعمق المشكلات التي تعاني منها الإنسانية، والتي تشترك البشرية في كثير من الأحيان في الاحساس بها، فالاحتلال والقمع والظلم الناتج عنه مشكلة عانت منها أغلبية شعوب العالم، وقد عكف الأدباء دائما كما اجتهد المجتمع العالمي والهيئات والمنضمات الدولية على وضع حد لتلك الممارسات المؤسفة التي جعلت بعض البشر ذئاب والبعض الأخر ضحاياهم.

وتعتبر رواية الصدمة لياسمينة خضرا من أكثر الروايات إثارة لإشكالية المحتل والمغتصب وفق صورة جديدة تكسر تلك النمطية التي ألفها في كثير من الأحيان المثقف والقارئ العربي، وذلك بسبب طبيعة الشخصية الرئيسية التي حاولت أن تبحث حل لمشكلة القضية الفلسطينية.

وعليه أمام هذا الطرح لنا أن نطرح إشكالية بحثنا هذا وهي: كيف تجلى المثقف المتخاذل في رواية الصدمة لياسمينة خضرا، وكيف تمظهرت أشكال الهوية فيها؟.

وعليه يهدف هذا البحث إلى إبراز صورة المثقف المتخاذل، وهو بطل الرواية، وكذلك الوقوف عند تمظهرات الهوية التي برزت في صورة الأنا والآخر، ومنها نكون قادرين على تتبع طرق تصوير المحتل والمغتصب وفق صورة جديدة تكسر تلك النمطية التي ألفها في كثير من الأحيان المثقف والقارئ العربي، وذلك بسبب طبيعة الشخصية الرئيسية التي حاولت أن تبحث حل لمشكلة القضية الفلسطينية.

معتمدين في ذلك على منهج النقد الثقافي، والمنهج الوصفي والتحليل، ونقف فيه على محورين أساسيين هما المثقف المتخاذل، وأشكال الهوية، المحور الأول نقف فيه على صورة المثقف المتخاذل التي ظهرت مع البطل، وفي المحور الثاني نقف عند صورة الأنا والآخر في الرواية والتي تنقسم إلى صورة الكيان الإسرائيلي المحتل، واليهودي المحتل والحاقد، واليهودي المتعايش، أما صورة الفلسطيني فنجد منه المندمج والمقاوم.

المثقّف المتخاذل

1.2 شخصية المثقف المتخاذل في الرواية:

المثقف المتخاذل هو شخص يتحاشى اتخاذ وجهة نظر قاطعة أو واضحة بخصوص الأعمال الأدبية، ويميل إلى التراجع عن التعبير عن آرائه بشكل قاطع أو واضح. يمكن أن يكون ذلك نتيجة لعدم الثقة في قدرته على تقييم الأعمال بشكل دقيق، أو رغبته في تجنب الجدل والاحتكام إلى وجهات نظر متوسطة.

يمكن أن يكون المثقف المتخاذل شخصية تظهر في الرواية وتتميز بعدم اتخاذ موقف واضح أو قاطع تجاه الأحداث أو الشخصيات. قد تكون هذه الشخصية تتردد بين وجهات النظر المختلفة دون أن تصل إلى استنتاج نهائي، أو قد تكون تميل إلى الابتعاد عن المواقف القوية والتعبير عن الرأي بوضوح. قد يعكس ذلك عادة عدم اليقين أو الحذر الزائد أو حتى الضعف في شخصيتها.

وشخصية أمين في رواية "الصدمة" شخصية معقدة ومتناقضة. يُصوّر أمين كشاب يافع يعيش في ظل ظروف صعبة ويتعرض لصدمات عدة في حياته. يتميز أمين بطيبة قلبه وعاطفته العميقة، ولكنه في الوقت نفسه يظهر ضعفًا وترددًا في مواجهة التحديات. تتطور شخصية أمين في الرواية من خلال تجاربه وصراعاته الشخصية، ويبدأ في استكشاف هويته وتحديد موقفه في مواجهة الصعاب التي تواجهه.

بالطبع، في رواية "الصدمة"، يُمثّل شخصية أمين نموذجًا للمثقف المتخاذل في بعض الجوانب. يتميز أمين بحسه الفني العميق وقدرته على فهم الجوانب الدقيقة للحياة والعواطف البشرية. ومع ذلك، يظهر أمين تردده وتراجعه في اتخاذ مواقف قوية في بعض الأحيان، مما يجعله يبدي امتناعًا عن التعبير بوضوح عن آرائه أو التصريح بمواقفه بشكل قاطع.

يمكن رؤية هذا التردد في تفاعلات أمين مع الأحداث والشخصيات في الرواية، حيث يظهر تراجعه وتردده في التعبير عن مشاعره وآرائه بشكل مباشر. على الرغم من قدرته على فهم العديد من القضايا الاجتماعية والفنية، إلا أنه يميل إلى الابتعاد عن المواقف القوية أو الجدلية، وبالتالي يصبح مثقفًا متخاذلا في بعض الأحيان.

ومع ذلك، يتطور أمين على مدى الرواية ويبدأ في التغلب على هذا التردد، حيث يبدأ في اكتساب الثقة في نفسه وتحديد مواقفه بشكل أكثر وضوحًا وقوة.

إشكالية الهوية

1.3مفهوم الهوية:

تتعدد وتتنوع مفاهيم الهوية لما فيها من تشابك في عدة مجالات من الحياة، ولنا أن نطرح فيه المفهوم اللغوي والاصطلاحي:

أ. لغة:

جاء في لسان العرب أنها من الجذر اللغوي (هوى): (منظور، 689هـ، صفحة 293) "تصغير هوة، وقيل الهوية بئر بعيدة المهواة، وعرشها سقفها المغمى عليها بالتراب، فيغتر به واطئه فيقع فيها ويهلك".

يفيد معنى الهوية البعد، والعمق.

ب. اصطلاحا:

وجدنا فيها الكثير من التعريفات، منها التي تعرفها أنها التي تجمع (العيسوي، 2002، صفحة 08)" بين انتماءات متكاملة، وهوية المجتمع تمنح أفراده مشاعر الأمن والاستقرار والطمأنينة"، فهوية الفرد إذن هي من هوية مجتمعه، هذا ما يفسر تقاطع طرق التفكير والعادات والتقاليد في تلك المجتمعات القريبة من بعضها البعض وداخل المجتمع في حد ذاته.

2.3 الهوية والانتماء في الرواية:

استخدمت الهوية كمرادف لمصطلح الانتماء إذ يقال أن (الجراري، 1998، صفحة 23)"هذا عربي الهوية، وذاك هندي الهوية(...)، فالهوية إذن ممارسة وسلوك قبل أن تكون تصورا ذهنيا".

لقد أثبتت الدراسات السيسيولوجية أن الفرد يكتسب من خلال التجمعات الإنسانية مجموعة من الصفات من شأنها أن تعبر عن هويته وقوميته لاحقا، أي أنها أثبتت أن (الساقا، 2011، صفحة 212) "لكل جماعة أو أُمة مجموعة من الخصائص والمميزات الاجتماعية والنفسية والمعيشية والتاريخية المتماثلة التي تعبر عن كيان ينصهر فيه قوم منسجمون ومتشابهون بتأثير هذه الخصائص والمميزات التي تجمعهم".

ومن خلال هذا الطرح السيسيولوجي نفهم أن الحديث عن الهوية في التعريف السابق الذكر أنه تعريف حداثي، لأن مفهوم الهوية (بركان، 1998 ، صفحة 02)" بشكل عام يمكن أن يُعدّ ضمن المفاهيم التي ليس لها تاريخ، فهي تُعتبر مفهوما خلفيا، يرجع استعمالها إلى الأصول الأولى للفكر".

فمسألة البحث عن مفهوم الهوية مسألة متجذرة في تاريخ الفكر البشري، وقد شغلت بال الفلاسفة والمفكرين الذين أخذو يبحثون في الهو والماهية.

وتعد الهوية (القليقلي و أبو غوش ، 2012، صفحة 11)"آلية من آليات الدفاع الجمعي وليس الفردي، التي تتحرك للعمل في حالات مثل التحديات المصيرية كالحروب والكوارث والأزمات الثقافية، فتكون ضمانا في مواجهة خطر الإبادة أو الإلغاء من قبل هوية أخرى، فيصبح هناك ضرورة لإثبات الهوية(...)، والتعبير عنها يكون من خلال مستويات ثلاثة، هي الدولة والأمة والجماعة، وفي الوطن العربي هناك مستوى رابع وهو القومية، لأن الأمة العربية مقسمة إلى دول قُطرية".

هي إذن نتاج تفكير جمعي عادة ما تنساق من وراء تلك الحروب والثورات التي تدفع بالفرد إلى البحث عن انتماءاته وتثبت بواسطة عدة عناصر هي الدولة، الأمة، والجماعة والقومية.

يقدم ياسمينة خضرا في رواية الصدمة، بعدا مغايرا، وغير مفهوم لدى القارئ العربي، حول إشكالية الهوية التي يطرحها الشكلة الفلسطينية الاسرائيلية، يختار الكاتب شخصية أمين جعفري طبيب ذو كفاءة عالية، يعيش في مدينة تل أبيب ويحظى بمنزلة هامة، داخل الطبقة الاجتماعية المرموقة.

تعتبر شخصية أمين اندماجية، تتكيف مع الحياة على الطريقة الإسرائيلية، توحي للقارئ عبر السرد، على أنها شخصية منسلخة عن هويتها لعربية الفلسطينية، وتعيش في حرية تامة من كل القيود الاجتماعية التي تفرضها طبيعة العلاقة بين الطرفين المتناحرين.

تسقط شخصية أمين في الصدمة، على إثر حادثة الانتحار، يحاول أمين التعامل مع واقعه الجديد، يبحث عن أجوبة لتساؤلاته، ويسقط في براثن إشكالية الهوية.

في تل أبيب يشعر أمين بالا انتماء، صار حضوره العربي يجعله ينقبض، يدخل على أصدقائه من اليهود، يسمع أحاديثهم من وراء حجاب، ثم يعود أدراجه دون أن يلقي التحية، يقول: (خضرا، 2007، صفحة 80)" خرجت كيم من المطبخ، وباغتتني واقفا في الرواق، وضعت إصبعي على فمي أرجوها ألا تفضح أمري، ثم رجعت على عقبي وخرجت من الشقة".

تظهر ملامح مشكلة الهوية في البروز بعد التفجير، يعاني أمين من العزلة والضياع، يقول: (خضرا، 2007، صفحة 81) "ها قد عدت إلى الحي الذي أقطن فيه كشبح يعود إلى ساحة الجريمة، لا أدري كيف وصلت لهذا المكان، بعد هروبي من شقة كيم، سلكت إحدى الجادات على غير هدى، وطفقت أمشي إلى أن ذبحت التقلصات كاحلي، ثم قفزت في حافلة أقلتني إلى أخر الخط حيث تناولت العشاء في حانة ريفية.

يمثل هذا المقطع الضياع الذي تعاني منه الشخصية على مستوى الهوية، حيث صار يفر من الأصدقاء، ويكره العودة إلى منزله، ويتناول وجباته في أماكن متفرقة تقوده إليها حافلات يركبها بطريقة عشوائية، لقد أصبح أمين لا يشعر بالانتماء في المدينة الاسرائيلية، ولهذا بدأ يبحث عن انتماء في مكان أخر، يشفي غليله، هوية حقيقية يتكئ عليها لينهض من جديد، ولهذا راح يقتفي أثر زوجته، ويتبع هويته عبرها.

يتفادى أمين في صراعه الوجودي أن يكون اسرائيلي، لأن كل ما يهمه في تل أبيب صر بلا معنى، كما لا يستسيغ الفكر الجهاد الأصولي ولا الإسلامي، وبين ذلك وذاك، حاول أن يكون إنساني، يؤمن بالتعايش السلمي، والحوار، وهذا ما لم يكن بين الطرفين، يقول مخاطبا أح قادة المقاومة: (خضرا، 2007، صفحة 180، 181) " ماذا قلتم لها لتتحول إلى وحش، إلى إرهابية، إلى أصولية انتحارية؟ هي التي كانت لا تتحمل سماع جرو كلب يئن".

بالنسبة للمقاومة الفلسطينية ما أقدمت عليه زوجته أمين، يعتبر عمل بطولي، لأنه من صميم القضية، وحلم شعب في التخلص من أغلال العدوان الاسرائيلي، أما بالنسبة لأمين فهو عمل وحشي إرهابي، راح ضحيته زوج، وزوجة، (خضرا، 2007، صفحة 184)" وسبعة عشر شخص لا تعرفهم أبدا".

عبر هكذا مقاطع كشف خضرا اضطراب الهوية عند الشخصية المندمجة، حيث جاءت هذه الأخيرة بدون انتماء تدافع عنه، أو قضية تساندها، لقد كان الطبي خارج الإطار.

فالهوية بالنسبة إليه تكمن في الحياة السلمية، أما ما أقدمت عليه زوجته فيدخل ضمن الأعمال الإجرامية، وهذا ما جعل قائد المقاومة يكشف له علاقة الهوية بالمقاومة والأرض، يقول: (خضرا، 2007، صفحة 184) " أية حقيقة؟ حقيقتك أم حقيقتها؟ حقيقة امرأة ادركت أين يكمن واجبها أم حقيقة رجل يظن أنه يكفي أن يولي ظهره للمأساة كي يتنصل منها؟ ما لذي تريد أن تعرفه يا دكتور أمين جعفري؟ حقيقة العربي الذي يعتقد أنه نجا بفضل جواز سفر اسرائيلي؟"[٠]

هنا تتجلى إشكالية الهوية الحقيقية، حيث يكشف الكاتب عن وضع أمين المزري، الذي لا يعي مكانته داخل الصراع، بين الطرفين، ويفكر في طريقة لتفادي التنافر بين أطرافه، ولهذا كان يرد على قائد المقاومة وفق ما يمليه عليه موقفه، يقول: (خضرا، 2007، صفحة 185) " إنني نعيش بالفعل في الكوكب نفسه، ولكننا لا نسكن في العنوان نفسه، لقد اخترت قتل الناس، وأنا اخترت إنقاذ حياتهم، عدوك هو مريضي، لست أنانيا ولا مباليا، (...) أريد فقط أن أعيش نصيبي من العيش بدون الاضطرار للتعدي على نصيب الأخرين"[٠]

يكمن صراع الهوية في الرواية على هذا الشكل وبهذا المنطق، بالنسبة لأمين الحياة حق لا بد من أن يستغله المرء ويعيش، وبالنسبة للمقاومة (خضرا، 2007، صفحة 186) ، " لا حزن ولا حداد سيثنيهم على القتال من أجل ما يعتبرونه، عن حق، جوهر الوجود، وهو الشرف"[٠]

فالصراع باقي ما دام هناك عدوان يحتل الأراضي الفلسطينية، ولا حياة ولا انسانية مع هذا العدوان، فأمين يمثل الحل الوسطي، كما يرى هو ذاته، ولكنه من وجهة نظر أبناء جلدته، هو شخص انسلخ من جدوره، ويتخلى عن هويته، ويندمج مع الأخر بدون خلفيات وأحقاد، هؤلاء الذين يرون أن الصراع قائم مع المحتل، من أجل ذاتهم وهويتهم، حتى يقتلع هذا العدو من جدوره.

وهذا ما جعل شيخ المقاومة يختم هذا الصراع بينهم وبين أمين(صوت الانسانية والسلام)، يقول: (خضرا، 2007، صفحة 186، 187) " من الواضح أننا لا نسلك الدرب نفسها، قد نمضي شهور وسينينا، نحاول أن يسمع أحدنا الآخر، ولكن لا أحد منا سيرغب بالأصغاء إلى الآخر، فلا داعي لقول المزيد".

لقد مثل صراع الهوية في الرواية المنطق الذي تتشدق به فلسفة الغرب الاستعمارية، حيث يطالب المغتصب من الضحية السكوت، والتخلي عن أحقاده والتأقلم مع منطق العدوان الاسرائيلي، وهذا ما لا تستسيغه الشعوب المقهورة والمهضومة حقوقها، تلك الشعوب التي تكافح من أجل تقرير مصيرها، والعيش بشرف وكرامة، ولا مناص من الموت والحرب في ظل هكذا فلسفة، ولا يوجد حل وسطي في مثل هكذا قضايا، بل يقتضي على الفرد أن يختار الجبهة التي يقاتل و يناضل من أجلها.

3.3 الأنا والآخر في رواية الصدمة:

يقدم ياسمينة خضرا في رواية الصدمة صورة عن طبيعة العلاقة بين الأنا والآخر، إذا يتيح للقارئ رسم فكرة عن المكونات الثقافية والاجتماعية التي تتبناها الأطراف المختلفة، داخل الصراع الاسرائيلي الفلسطيني، ومواقف هذه الأطراف اتجاه القضايا التي تعيشها.

1.3.3 صورة الكيان الإسرائيلي المحتل:

تكشف رواية الصدمة صورة الكيان المحتل الذي يغتصب الأراض الفلسطينية، وتزيل الغبار عن تلك المرجعيات الثقافية التي تغديه، وتطرح مشكلة القضية الفلسطينية بعيون فوقية منسلخة من الواقع الحقيقي عبر شخصية الطبيب أمين، التي تمثل الشخصية الحيادية وصوت السالم البعيد عن الأحقاد والعنف والقتل، وعبر هذه الشخصية يمكن أن نرى موقف اليهودي المتعصب والمتعايش، واليهودي المحتل الذي يتجلى عبره موقف السلطة الاسرائيلية الاحتلالية.

2.3.3 صورة اليهودي المحتل (السلطة):

تعكس صورة اليهودي المحتل موقف الاحتلال الاسرائيلي لفلسطين، وتلك النظرة الدونية التي تصاحبه، اتجاه أصحاب الأرض، ومختلف أساليب العنف الذي يتعرض إليه الشعب الأعزل من طرف العدوان، يقول الشيخ مروان: (خضرا، 2007، صفحة 137)" كل يوم يجرونا في الوحل أو أمام المحاكم، كل يوم تهرس الدبابات أقدامنا، وتقلب جرارتنا، وتهدم بيوتنا، وتفتح النار بلا إنذار على أطفالنا، كل يوم العالم بأسره يشهد مأساتنا".

يمثل المقطع طبيعة الأعمال العنيفة التي يتعرض لها المواطن الفلسطيني، بشكل يومي ومباشر من طرف المحتل، وكل القتل والتعذيب والسجن الذي تعيشه هذه الشريحة المضطهدة.

كما يكشف صورة المحتل الذي يستغل أبناء فلسطين من أجل صورة مغايرة عن طبيعته العنيفة، ومجازره البشعة اتجاه الفلسطينيين، يقول شيخ المقاومة محدثا أمين: (خضرا، 2007، صفحة 18) " ما هي الحقيقة التي تعريفها يا دكتور أمين جعفري؟ حقيقة الشخص الذي يجسد النموذج العربي بامتياز، والذي يغدقون عليه التكريم في كل مناسبة، ويدعونه إلى حفلات استقبال راقية، لتأكيد أمام المجتمع على مدى تسامحهم واهتمامهم؟".

هذه حقيقة الإعلام المحتل، الذي يحاول الظهور بشكل لائق أمام المجتمع الدولي، ليحجب العنف الذي يمارسه في الأراضي المحتلة.

فالصورة المحتل وما يقوم به من أعمال وحشية في فلسطين حاضرة بشكل قوي، في الرواية، يقول قائد الكتائب المقاومة، (خضرا، 2007، صفحة 253) " لا أحد ينضم إلى كتائبنا من أجل المتعة يا دكتور، كل الشبان الدين شاهدتهم، يكرهون الحرب كرها أعمى لأن رصاص العدو يحصد كل يوم واحدا منهم في شرخ شبابه، هم بدورهم يريدون أن يتمتع بالحياة، وأن يصبحوا جراحين ومطربين (...) المشكلة أنهم يمنعونهم من تحقيق أحلامهم يا دكتور، يسعون لاحتجازهم في معازل، إلى أن يتماهوا معها كليا".

يكشف المقطع عن طبيعة الاحتلال الصهيوني القمعي، والممارسات الوحشية العنيفة اتجاه الشباب الفلسطيني، وطرق الاضطهاد والكبت والحجز الذي يتعرض إليه هؤلاء المضطهدين.

كما صورت الرواية موقف الاحتلال من العواقب التي تتعرض إليها منازل المقاومين، بعدما قام وسام بتفجير نفسه في حاجز أمني إسرائيلي، (خضرا، 2007، صفحة 283)" لقد اجتاح الجنود البستان عند الفجر، وصلوا بشاحنات مسيجة، وحاصروا بيت الجد، كانت تتبعهم عن قرب حاملات دبابات، تنقل جرافة، (...) أعلمني الضابط أن لدينا نصف ساعة لإخلاء الدار والسماح له بمباشرة تدميرها على إثر العملية الانتحارية التي نفدها وسام جعفري، ضد حاجز تفتيش، بناء على التعليمات التي تلقاها من رؤسائه".

يقر المقطع بهول الجحيم الذي تعيشه العائلات الفلسطينية، سياسة الاحتلال التعسفي، التي تعمل على تشريدهم وتهجيرهم وهدم بيوتهم، كل هذا من أجل اغتصاب الأرض وقتل المقاومة الفلسطينية.

وعليه يتضح أن صورة اليهودي المحتل والمغتصب، كانت صورة سلبية تكشف معاناة الشعب الفلسطيني من جبروت الاستعمار، وكمية القتل والموت الذي يعيشه الفلسطيني بشكل يومي أمام سكوت المجتمع العالمي والعربي.

3.3.3 صورة اليهودي الحاقد:

تعالج رواية الصدمة صورة اليهودي الحاقد، بناءً على خلفيات عدة، فهو مواطن اسرائيلي يغذي أحقاد دفينة اتجاه الفلسطيني، ويصورهم كإرهابين وقطاع طرق، وينظر إليهم بقطرة دونية، ويعتبرونهم دونه في الحياة، حيث يتجلى ذلك من خلال الموقف الذي أقدم عليه زملاء أمين جعفري في المستشفى بعد علمهم بما فعلته زوجته، يقول أمين: (خضرا، 2007، صفحة 98)" استطاع إيلان روس تأليب أغلبية الطاقم الطبي ضدي، ومن بين موقعي العرائض المعترضة على عودتي، اقترح بعضهم تجريدي من الجنسية الإسرائيلية".

هكذا تطفو صورة اليهودي الحاقد على السطح، فبمجرد انقلاب حياة دكتور أمين رأسا على عقب، تتجلى تلك المشاعر الدفينة لتدينه، وتكشف عن حقيقة الأحقاد التي تخفيها جنبات زملائه في المهنة.

يحدد الكاتب أكثر عمق هذا الحقد والخلفيات التي تتكأ عليها، عبر شخصية إيلان روس أيضا، يقول أمين: (خضرا، 2007، صفحة 98) " لا يفاجئني موقف إيلان روس كثيرا، لقد فقد أخيه الصغير الرقيب في حرس الحدود، أثناء كمين في جنوب لبنان، مند عشر سنوات، لم يتمكن من تخطي ذلك".

يظهر الحقد في المقطع الخلفية الاستعمارية والصراع الدموي بين الجبهات المتنافرة، يغديه شرور الاحتلال ونتائج الحرب، رائحة الدم والفقد والدمار، (خضرا، 2007، صفحة 114) " وتلك الصورة الكاريكاتورية التي يجرها بالطول والعرض من خلال دناءة البشر، تلك الصورة التي تشيئه حينا، وتصوره شيطانا رجيما حينا أخر، وتقصيه في أغلب الأحيان".

كما يبرز الكاتب موقف المواطن الإسرائيلي من الفلسطينيين، الموقف الذي تروج له وسائل الإعلام بطريقة منهجية، إذ تظهر كيم وبرغم من موقعها الاجتماعي، مقتنعة تماما بموقفها اتجاه الفلسطينيين، وكأنهم أناس إرهابيون يحاولون ذك مضاجعهم وإفساد حياتهم، كان ذلك عندما قرر أمين السفر إلى بيت لحم، من أجل معرفة سبب قيام زوجته بعملية انتحارية، تقول كيم: (خضرا، 2007، صفحة 119) " هل تدرك ماذا تقول؟ أذكرك بأنهم إرهابيون".

هكذا يزرع الإعلام الحقد في قلب اليهود، وينشئهم على بغض ونبذ كل ما هو فلسطيني عربي، فبالنسبة إليهم أصحاب الأرض مجرد وحوش بشرية، يحملها اليهود المسؤولية التامة فيما يحدث، فقط لأنهم يقاومون من أجل حريتهم، وفي سبيل الدفاع عن أرضهم، ولهذا يعتقد اليهود بأن (خضرا، 2007، صفحة 80)" الفلسطينيون هم الذين يرفضون الاستماع إلى صوت العقل".

فالإعلام بالإضافة إلى التنشئة السياسية، داخل المجتمع الإسرائيلي، تعمل على خلق هذا الجو المشحون بين الفلسطينيين واليهود، ومن هنا يبدأ سوء التفاهم، وتتغذى الأحقاد، فالهدف الذي يريد الاحتلال الوصول إليه، يخدم مصالحهم الاستعمارية، بمعية الأنظمة الحاكمة والسلطات الأمنية، حتى لا يكون هناك أي تواصل بين الأنا والآخر، إلا عبر لغة الدم، وهذا ما يسهل عليهم خدمة أطماعهم التوسعية، وسياسة ضم الأراضي والقتل والسجن.

4.3.3 صورة اليهودي المتعايش:

تمثل صورة اليهودي المتعايش، تلك الشخصية التي تتربع على موقف وسطي إزاء الصراع القائم في فلسطين الأبية، وهذا ما يتجلى من خلال موقف نافيد، ذلك الرجل الذي يعمل في جهاز الشرطة الإسرائيلي، لكنه يحظى بنظرة متوازنة حول حقيقة الوضع بين الطرفين المتنازعين، ويحاول تحكيم العقل بدل التعصب والحقد، يقول: (خضرا، 2007، صفحة 80)"الفلسطينيون الأصوليون يرسلون فتيانا لتفجير أنفسهم في موقف حافلة، وريثما نلملم قتلانا، ترسل لهم قيادتنا لعسكرية مروحيات لقصف بيوتهم، في اللحظة التي يتهيأ قادتنا لإعلان النصر، يأتي تفجير أخر ليعدل في موقفهم، إلى متى سيدوم ذلك؟".

يطرح الكاتب عبر شخصية نافيد سؤالا وجوديا، ينبغي على كلا الطرفين أن يفكرا جيدا فيه، ويكشف عبر هذا السؤل، صورة عن هذه الشريحة اليهودية التي تعيش صراع مع الوضع، ولا ترضخ بسهولة لتضليل الإعلام وزرع الأحقاد.

كما تحيل شخصية اليهودي شلومي هيرش، إلى صورة اليهودي المتعايش جنبا إلى جنب مع الفلسطيني، وتصنع علامة عن طبيعة العلاقة المتجذرة بين هذين الشعبين، التي أثارتها رواية الصدمة بشكل بارز.

تبدي هذه الشخصية روح التواصل، بحكمة متناهية، وتطرح فكرة التلاقح الثقافي والفكري، من باب حوار الأديان وتشابكها، ومن منطق العلاقة الأخوية بين الإنسان وأخوه الإنسان، يقول شلومي محدثا أمين: (خضرا، 2007، صفحة 175، 176) "لمحتك قادما، وظننت أنني لمحت صديقا قديما، لم يعد موضع اهتمام منذ عشر سنوات، وافتقده، لديك هامته، ومشيته، وشيء من ملامحه، وأنا أنعم فيك النظر عن كثب، ألست أمين ابن رضوان جعفري الفنان؟".

تقدم رواية الصدمة صورة عن هذا النوع من اليهود، عبر هذا المقطع الذي يكشف عن عمق العلاقة، ويفضي بمشاعر قوية تربط الطرفين، فاليهودي شلومي يفتقد العربي الفلسطيني رضوان، ويستطيع أن يعرف نسله، من خلال ملاحظات تكشف وتثير عمق العلاقة التاريخية بين العرقين.

يبدي شلوم هذه العلاقة من خلال تاريخ العائلتين، يقول: (خضرا، 2007، صفحة 276)"كنت أعمل سمسار عند كبير أسرتكم، منذ أن خسر أراضيه تحولت إلى دجال".

يؤكد القول انتقال العلاقة بين الصداقة والعمل والجوار، ويبدوا أن العلاقة انتهت بسبب شؤم الاحتلال الإسرائيلي، الذي ينهب الاراضي، ويقضي على العائلات الكبيرة المقاومة.

كما يكشف المقطع صورة الاستعمار الإسرائيلي من منظور اليهودي المتعايش، ويكشف حجم القمع والوحشية التي ينتهجها في حربه على أصحاب الأرض، يقول شلومي: (خضرا، 2007، صفحة 276، 277)" قلما ينزل الناس في الجوار هذه الأيام، بسبب الجدار ' إنه شنيع حقا هذا الجدار، أليس كذلك؟ كيف يمكن تشيد مثل هذه الفظائع".

فاليهودي المتعايش يرفض كل أشكال العنف التي تميزت بها صورة اليهودي المحتل، أو اليهودي الحاقد، فهو يعتقد بالتعايش السلمي، وبمبدأ الإنسانية الجمعاء.

4.3 صورة الفلسطيني في رواية الصدمة:

تمحورت صورة الفلسطيني في رواية الصدمة في صنفين من الفلسطينيين، صورة الفلسطيني المندمج، الذي يعتبر أمين جعفري مثال واضح عنه، وصورة الفلسطيني المقاوم، الذي يؤمن بالتحرر من أغلال المحتل الغاشم.

1.4.3 صورة الفلسطيني المندمج:

يمثل هذه الشريحة الدكتور أمين جعفري، طبين جراح، يحمل جواز سفر إسرائيلي، يعيش في تل أبيب، قدمت رواية الصدمة هذه الشخصية المندمجة، كشخصية ترمز إلى التعايش السلمي، وتؤمن بالسلام ونبذ العنف بمختلف أشكاله.

يحاول أمين جعفري كشخصية مندمجة إيجاد حل وسطي يرضي أطراف الصراع، يقدم أسئلة وجودية، ويؤمن بوجوب فرض أرضية حوار تنهي المأساة في الأرض المحتلة.

تعرضت هذه الشخصية للنبذ من كلا الطرفين المتنازعين، لقد طرده أصدقاءه في المهنة من المستشفى، بسبب ما أقدمت عليه زوجته (خضرا، 2007، صفحة 98)، وتعرض للاستنطاق من طرف الجهاز البوليسي الإسرائيلي (خضرا، 2007، صفحة 50)، بشكل وحشي ومؤلم، جراء العملية الانتحارية، وبعد علمه بفقدان زوجته، بينما ساعدته صديقته كيم، وصديقه نافيد للخروج من وضعه المزري، يقول: (خضرا، 2007، صفحة 213، 214)"تأثرت جدا من المؤامرة التي حاكها ضدي إيلان روس، ومع ذلك كنت لا أستعرض تدينا مفرطا في أي مكان، منذ أيام الجامعة أحاول أداء واجباتي كمواطن بأمانة، وإذ أدركت النماذج النمطية التي أتعرض لها أمام الناس، سعيت جاهدا لتخطيها الواحد تلو الأخر، مقدما أفضل ما عندي، وتعلمت تحمل حماقات رفاقي اليهود".

يكشف المقطع عن قدرة أمين على تحمل الوضع السيء والمتردي الذي يعيشه المندمج في الأراضي المحتلة، ومقدار ما يمر به من أجل التعايش مع الحقيقة المؤلمة التي يؤمن بها اليهودي الحاقد، واليهودي المحتل، يقول: (خضرا، 2007، صفحة 114)" أدركت أن الحل الوسط لا يجدي نفعا، وأنه علي اختيار معسكري بسرعة، اخترت كفاءتي معسكرا، ومبادئ حليفا، مؤمن أنني سأنتزع الاحترام على المدى الطويل". لقد تعرضت هذه الشخصية للاضطهاد وكل أشكال العنصرية، لكنها أبت أن تركن للأحقاد والعنف الذي تلجأ إليه الأطراف المتناحرة، لقد اتخذ امين من دراسته لحفظ ذاته، عبر البروز والتفوق، ونال احترام اقرانه من الإسرائيليين رغما عنهم.

هذا من جهة معاناة الشخصية المندمجة مع اليهود، أما من الجهة الأخرى، فقد عانت هذه الشخصية من النظرة الدونية من طرف بني جلدتها، فهي بالنسبة لهم خائنة للوطن، باعت نفسها للشيطان، يقول إمام مسجد بيت لحم مخاطبا أمين: (خضرا،

2007، صفحة 172) " نحن نعلم أنك مسلم ممتنع، تكاد تكون مارقا، وأنك لم تنتهج نهج أجدادك، ولا تمثل لمبادئهم، وأنك تخليت منذ وقت طويل عن قضيتهم، إذ اخترت جنسية أخرى" ، فكل ما تجسده هذه الشخصية عن التعايش السلمي، والنجاح الاجتماعي والحوار الإنساني، بدل التباغض والتقاذف، والعنف، يضرب عرض الحائط من منظور الفلسطيني المقاوم، ابن الأرض والدم، يقول الإمام: (خضرا، 2007، صفحة 173)" أنت بالنسبة لي مجرد بائس مسكين، يتيم، شقي، بلا إيمان ولا خلاص، يهيم كالماشي في نومه في وضح النهار".

ليجد أمين نفسه منبوذ، ومرفوض، يترك لديه انطباع يوحي بالرفض، ويتعرض لكل أشكال الإبعاد، يقول احد قادة المقاومة: (خضرا، 2007، صفحة 173) " فلا نجاحك الاجتماعي ولا شجاعة زوجتك التي لا ترفع بالمناسبة من شأنك في نظرنا أبدا".

بالنسبة للفلسطينيين تجلب شخصية أمين جعفري المندمجة الموت والدمار معها، كون أجهزة الأمن الإسرائيلية تستغلها، لتتعرف على أوكار المقاومة فتقصفها (خضرا، 2007، صفحة 178)، ولهذا كان الجميع يتحاشى استقباله، والحديث معه، بل تعرض لضرب كي يبعد عن الأراضي الفلسطينية. (خضرا، 2007، صفحة 175، 176) لقد حاولت هذه الشخصية محاورة الإسرائيلي المحتل، والفلسطيني المقاوم، لكنها فشلت في الحالتين، لتكشف عن ضعف التواصل بين الطرفين، فلم يوافها أحد في فكرها كشخصية مسالمة، سوى اليهودي شولومي، الذي سبق وصنفناه في دراستنا، في صورة اليهودي المتعايش، إذ تكشف الآية التي قرأها أمين من سفر أشعيا، الفلسفة التي تؤمن بها هذه الشخصية، يقول: (خضرا، 2007، صفحة 278)

" ما فائدتي من كثرة ذبائحكم، يقول الرب؟

كيف صارت المدينة الأمينة زانية؟

لقد كانت مملوءة عدلا

وفيها كل مبيت لبر

أما الآن فإنها فيها قتلة

يا شعبي إن مرشديك يضلونك

وما على شارون إلا أن يحترس، أمين!".

يظهر من المقطع المختار من الكتاب المقدس، حنين الشخصية المندمجة إلى الماضي، حيث كانت تعيش جميع الديانات في الإسلام، يخاطب البشر الذين يعيشون في فلسطين بالشعب الواحد، كما تشير الآية، إلى الفكرة التي تطرحها رواية الصدمة، كحل جذري للصراع في فلسطين، وإلى ضرورة كف القتال والإصغاء إلى صوت الإنسان في داخل البشر، وصوت الله فوقهم.

2.4.2 صورة الفلسطيني المقاوم:

تتكئ صورة الفلسطيني المقاوم في رواية الصدمة، على مبدأ المقاومة والوقوف في وجه المغتصب الصهيوني، والكفاح بشتى الأساليب ولوسائل لكف أداه، وإلزامه حدوده، ففي كل بيت في فلسطين، يوجد شهيد ومقاوم، وكل الشعب الفلسطيني مشارك في فعل الجهاد، ومبدأ الحرية والتحرر من العبودية والاضطهاد، هو الركن الوحيد الذي يلجأ إليه هذ الشعب.

يكشف ذلك كم هائل من المقاطع في الرواية، يقدم عادل نوع من الوصف حول شخصية المقاوم، يقول: (خضرا، 2007، صفحة 288) " نحن نجد صعوبة أصلا في التفاهم حول الأمور السياسية، ومن ثم، نحن لا نقدم لبعضنا البعض حسابات، كل يخوض جهاده كما يفهمه، عندما يقبل المرء أن يحمل السلاح، عليه أن يقبل أن يحدوا الآخرين حدوه، لكل الحق في نصيبه من

المجد، لا يختار المرء مصيره، ولكنه يختار نهايته، إنه أسلوب ديمقراطي للسخرية بالقدر" ، يؤمن الفلسطيني المقاوم بالحرية، ويعتبر الشهادة نوعا من الحرية، كما يعتبر المقاومة والجهاد، يقول عادل مخاطبا أمين: (خضرا، 2007، صفحة 261)" ليست الحرية جواز سفر يسلم في مركز الشرطة يا عمو، فالسفر أينما شئنا ليس الحرية، والأكل حتى الشبع ليس النجاح، الحرية اقتناع عميق، إنها أم كل أشكال اليقين".

كما يؤمن الفلسطيني المقاوم بالتضحية في سبيل الوطن، وهي بالنسبة له، كما يقول عادل: (خضرا، 2007، صفحة 261)" لست فقط من واجب الآخرين، إذ قبلنا أن يموت أبناء الآخرين من أجل أبناءنا، فعلينا القبول بأن يموت أبناؤنا من أجل أبناء الآخرين، وإلا لن تكون المسألة نزيهة".

يقاوم الشعب الفلسطيني من أجل كرامته، من أجل وطنه وأرضه وشرفه، ولأجل ذلك يغدي حقد دفين اتجاه الاحتلال الإسرائيلي الغاشم، يشرح قائد المقاومة، شعور المقاوم وسبب جهاده قائلا للسيد أمين: (خضرا، 2007، صفحة 252)" لقد احتجزتك في هذا المكان لتتذوق طعم الحقد، ولرغبة بممارسته، ولعلمك، لم أرضك للإهانة، لا أحب أن أهين، لقد تعرضت للإهانة، وأعرف ماهية، كل المآسي ممكنة حين تنتهك الكبرياء، ولا سيما حين يلاحظ المرء أنه لا يملك وسائل كرامته، وأنه عاجز".تأتي المقاومة من العجز والإهانة التي يتعرض لها المقاوم، كما يحيل المقطع، ولهذا كانت صورة المقاوم الفلسطيني مرتبطة بالجهاد والثبات على المقاومة، وهي صورة تعبر عن الظلم الذي يتعرض له الشعب الأعزل، والناتج عن العدوان المستمر الممارس عليه، والذي يحاول طمس هويته، وتشريده، وإهانته.

خاتمة:

- المثقف المتخادل في سياق الرواية، يمكن أن يكون شخصية تظهر في الرواية وتتميز بعدم اتخاذ موقف واضح أو قاطع تجاه الأحداث أو الشخصيات. قد تكون هذه الشخصية تتردد بين وجهات النظر المختلفة دون أن تصل إلى استنتاج نهائي، أو قد تكون تميل إلى الابتعاد عن المواقف القوية والتعبير عن الرأي بوضوح. قد يعكس ذلك عادة عدم اليقين أو الحذر الزائد أو حتى الضعف في شخصيتها.
- المثقف المتخادل في النقد الأدبي هو شخص يتحاشى اتخاذ وجهة نظر قاطعة أو واضحة بخصوص الأعمال الأدبية، ويميل إلى التراجع عن التعبير عن آرائه بشكل قاطع أو واضح. يمكن أن يكون ذلك نتيجة لعدم الثقة في قدرته على تقييم الأعمال بشكل دقيق، أو رغبته في تجنب الجدل والاحتكام إلى وجهات نظر متوسطة.
- شخصية أمين في رواية "الصدمة" هي شخصية معقدة ومتناقضة. يُصوّر أمين كشاب يافع يعيش في ظل ظروف صعبة ويتعرض لصدمات عدة في حياته. يتميز أمين بطيبة قلبه وعاطفته العميقة، ولكنه في الوقت نفسه يظهر ضعفًا وترددًا في مواجهة التحديات. تتطور شخصية أمين في الرواية من خلال تجاربه وصراعاته الشخصية، ويبدأ في استكشاف هويته وتحديد موقفه في مواجهة الصعاب التي تواجهه.

- يُمثّل شخصية أمين نموذجًا للمثقف في رواية "الصدمة"، المتخادل في بعض الجوانب، ويتميز أمين بحسه الفني العميق وقدرته على فهم الجوانب الدقيقة للحياة والعواطف البشرية. ومع ذلك، يظهر أمين تردده وتراجعه في اتخاذ مواقف قوية في بعض الأحيان، مما يجعله يبدي امتناعًا عن التعبير بوضوح عن آرائه أو التصريح بمواقفه بشكل قاطع.
- يمكن رؤية هذا التردد في تفاعلات أمين مع الأحداث والشخصيات في الرواية، حيث يظهر تراجعه وتردده في التعبير عن مشاعره وآرائه بشكل مباشر. على الرغم من قدرته على فهم العديد من القضايا الاجتماعية والفنية، إلا أنه يميل إلى الابتعاد عن المواقف القوية أو الجدلية، وبالتالي يصبح مثقفًا متخادلًا في بعض الأحيان، ومع ذلك، يتطور أمين على مدى الرواية ويبدأ في التغلب على هذا التردد، حيث يبدأ في اكتساب الثقة في نفسه وتحديد مواقفه بشكل أكثر وضوحًا وقوة.
- برزت أشكال الهوية في الرواية من خلال إظهار صورة الأنا والأخر، والتي تداخلت بين المحتل الصهيوني اليهودي الفلسطيني المقاوم، والمندمج.

هذه أهم النتائج المتوصل إليها من خلال بحثنا هذا والذي نأمل أن يكون نقطة انطلاقة لبحوث لاحقة أكثر عمقا وجدية في مواضيع جديدة.

المصادر والمراجع:

1. أباهر الساقا. (2011). *دراسة سيسيولوجية في الهوية الاجتماعية*. جامعة بيرزيت : معهد أبو الغد للدراسات العليا .
abahir alsaaqa. (2011). dirasat sisiulujiat fi alhuiat aliaijtimaeiati. jamieat birzit : maehad 'abu alghad lildirasat aleulya .
2. ابن منظور. (689هـ). *لسان العرب* (الإصدار دط). الإسكندرية : دار المعارف.
abn manzurin. (689ha). lisan alearab (al'iisdar duta). al'iiskandariat : dar almaearif
3. عباس الجراري. (1998). *مكونات الهوية الثقافية المغربية* (الإصدار ط1). دب : دار كتاب العلم المغربية.
eabaas aljarari. (1998). mukawinat alhuiat althaqafiat almaghribia (al'iisdar ta1). dab : dar kitab alealam almaghribiati.
4. عبد الرحمان ابن خلدون. (1984). *تاريخ ابن خلدون*. بيروت: دار القلم.
eabd alrahman abn khaldun. (1984). tarikh abn khaldun. birut: dar alqalami.
5. عبد الرحيم العيسوي. (2002). *نظرية الشخصية* (الإصدار دط). الإسكندرية : دار المعارف الجامعية .
eabd alrahim aleisiwi. (2002). nazariat alshakhsia (al'iisdar duta). al'iiskandariat : dar almaearif aljamieia .
6. عبد الفتاح القليقلي، و أحمد أبو غوش . (2012). *الهوية الوطنية الفلسطينية خصوصية التشكيل والإطار والنظم* (الإصدار دط). بيت لحم، فلسطين: دار المركز البديل.
eabd alfataah alquliqili, w 'ahmad 'abu ghush . (2012). alhuiat alwataniat alfilastiniat khususiat altashkil wal'iitar walnuzum (al'iisdar dut). bayt lihm, filastin: dar almarkaz albidil.
7. محمد أرزقي بركان. (أكتوبر , 1998). التحول هل هو بناء الهوية أم تشويه لها. *مجلة فكر ونقد ، مج12*.
muhamad 'arzaqi birkan. ('uktubar , 1998). altahawul hal hu bina' alhuiat 'am tashwih laha. majalat fikr wanaqd , mij12.
8. ياسمينة خضرا. (2007). *الصدمة* (الإصدار ط1). بيروت، لبنان: دار الفرابي.
yasaminat khadra. (2007). alsadma (al'iisdar ta1). bayrut, lubnan: dar alfarabi.